



هكذا نتدبر القرآن

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

- حفظه الله -

هكذا نتدبر القرآن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما بعد:

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن الله ﷻ أنزل هذا الكتاب المبين على قلب محمد ﷺ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليكون بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

هذا القرآن هو كلام الله ﷻ، صفة من صفاته، منزل غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود.

هذا القرآن أنزله الله ﷻ هداية للعالمين، قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

هذا القرآن أنزله الله ﷻ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ قال ﷻ: ﴿الرَّ

كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم: ١].

هذا القرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا.

هذا القرآن هو حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم.

هذا القرآن من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

هذا القرآن هو كنز الخيرات، وينبوع البركات، ومستودع الحسنات.

هذا القرآن -عباد الله- لو أنزله الله ﷻ على جبل؛ لتصدع ولخشع، يقول ﷻ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فما لقلوب كثير من الناس لا تخشع عند قراءة القرآن؟! أصبحت كالحجارة في قسوتها؟! فيا لله! يا لله!

هذا القرآن العظيم كلام الله رب العالمين، حينما سمع الجن القرآن؛ أخذتهم رعدة ورجفة، وأصبحوا من المؤمنين، يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، أثر بهم للتو وللحظة، حينما سمعوا القرآن؛ أصبحوا دعاة إلى الله رب العالمين، وذلك حينما تأملوه، وحينما نظروا فيه، نعم عباد الله (١).

وانظر إلى بعض أهل الكتاب الذين امتدحهم الله ﷻ، حينما تجردوا للحق، واستمعوا إلى القرآن بإحضر قلب؛ قال ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

(١) ينظر: "تفسير" الطبري (٢٢/ ١٣٤)، و"تفسير" البغوي (٧/ ٢٦٥)، و"تفسير" ابن كثير (٦/ ١٧٦).

﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿[المائدة: ٨٢-٨٣]، لا إله إلا الله! تفيض أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، آمنوا بالله، وآمنوا برسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم حينما أحضروا قلوبهم وأسماعهم، فأثر فيهم هذا القرآن، وأحدث فيهم هزة عنيفة جعلتهم دعاءً إلى الله رب العالمين (٢).

ولقد أخبر الله ﷻ عن أقوام يحملون الكتب، ولكنهم لا يفقهون ما فيها؛ يقول ﷻ: ﴿وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الأعراف: ١٧٥-١٧٦]،

أعطي هذه الآيات، فانسلخ منها، نعم عباد الله، هؤلاء قوم من الله ﷻ عليهم بهذا الذكر وبهذا الكتاب، لكنهم جعلوه وراءهم ظهريًا، ولذلك هذا القرآن -أيها المؤمنون- ما أنزل للتزين به، ولا بالاكْتِسَابِ به، وإنما أنزله الله ﷻ لتدبره، وللعمل به، يقول ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿[ص: ٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿[محمد: ٢٤]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿[النساء: ٨٢]، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿[المؤمنون: ٦٨]، نعم عباد الله.

هذا القرآن أنزل للتدبر وللعمل، لا أن يهذَّ هذَّ الشعر، ولا أن يُنشر نشر الدقل، ولا أن يتسابق الناس في قراءته للوصول إلى آخر القرآن، ولذلك امتدح الله ﷻ أهل الإيمان الذين إذا قرؤوا القرآن خشعوا معه، متدبرين متعقلين متفكرين، يقول ﷻ: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا

﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وهذا هو محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي كان إذا قرأ القرآن كان في أغلب الأحيان يبكي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، قال لعبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أقرأ عليَّ القرآن»، قال: «أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحبُّ أن أسمعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فقرأ عليه من سورة النساء، حتى إذا بلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حسبك»، يقول ابن مسعود: فنظرتُ إليه، فإذا عيناه تذرفان (٣) **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ويقول أبو ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: صليت مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** ليلة، فقرأ قول الله **عَلَيْهِ السَّلَام**: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، يركع فيها ويسجد، يعني: يكررها، ويبكي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** (٤).

وهكذا كان الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم، كانوا يقرؤون القرآن قراءة تدبر وتعقل وتأمل، وعمل بمقتضى هذه الآيات.

ولذلك قال بعض السلف: "إن القرآن رسائل من الله إليكم أيها المؤمنون، فاعملوا بوصية الله رب العالمين".

وكان بعض السلف يقول: "إن القرآن رسائل من الله، فيتأمله في الليل، ويعمل به في النهار".

كان الصحابة لا يتجاوزون عشر آيات حتى يحفظونها، ويتدبرونها، ويعملون بمقتضاها، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وأرضاهم (٥)، كان أحدهم إذا قرأ القرآن؛ عاش جنةً من جنان

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٤٩)، ومسلم (٨٠٠) من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٤) أخرجه النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٣٨٨) من حديث أبي ذر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" (١/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٢٠٤٧)، وابن وضاح في "البدع" (٢٥٥)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٢٨٩)، من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

الدنيا، يتلذذ بنعيم القرآن، وتجده لهم عملاً صالحاً، سبب ذلك تأثير القرآن في نفوسهم.

فتدبر القرآن إن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن (٦)

ولذلك -أيها المؤمنون- كثير منا يقرأ القرآن، ولا يصنع القرآن فيه شيئاً، إذاً هناك خلل موجود في عدم تدبر القرآن، بل وصل الحال ببعض الناس، يقرأ القرآن والقرآن يلعنه، ويقرأ القرآن والقرآن يتوعده، وهو لا يدري المسكين، إنما يقرأ قراءة عادة، وإنما يقرأ قراءة مسابقة، وإنما يقرأ قراءة شغل وقت، أما أهل الإيمان الذين امتدحهم الله ﷻ فيقرؤون قراءة عبادة، وقراءة تدبر، وقراءة تفكر، ما قرؤوا آية إلا ووقفوا عندها.

يقول بعض السلف: والله لأن أقوم ليلة ب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] فقط خير لي من أن أختم القرآن.

كان بعضهم يقف عند آية واحدة، تميم الداري أبو رقية رضي الله عنه قام ليلة كاملة في آية واحدة: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الباقية: ٢١] (٧)، آية واحدة يرددها حتى أصبح.

وهذا الحسن البصري رحمه الله ورضي عنه، قام في آية واحدة، وهي في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، يتأمل في كل لحظة نعم الله ﷻ عليه، فأصبح وهو يردد هذه الآية (٨).

وهذه أسماء رضي الله عنها وأرضاها قامت ليلة كاملة، أو قامت وقتاً طويلاً تردد

(٦) "نونية" ابن القيم (ص: ٤٩).

(٧) أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (١١٨٣٣)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (٨٣٧٠)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢ / ٥٠) رقم (١٢٥٠)، وابن الجعد في "المسند" (١١٠).

(٨) ينظر: "مختصر قيام الليل" للمروزي (ص: ١٥١).

قول الله ﷻ: ﴿وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتبكي، وتعيد، وتردد (٩).

وكان النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام هكذا قيامه وتدبره، وتعليمه للأمة، تقول عائشة: قام النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام، وكان معي في الفراش، حتى مسّ جلدي جلده، فقلت: إلى أين؟ فقال: «دعيني أتعبّد لربي»، فقام إلى شن معلقة، فتوضأ منها، وأسبغ الوضوء، ثم صلى الله، ثم نظر في هذا الملكوت، وفي السموات، نظر في النجوم، وتلا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿آل عمران: ١٩١﴾، ثم قال: «وَيْلٌ لِّمَنْ قَرَأَهُنَّ وَلَمْ يَتَذَكَّرْ فِيهِنَّ» (١٠)، يعلمنا التدبر والتعقل والتفهم لكتاب الله ﷻ.

ألا فلتتقوا الله يا عباد الله، ولتدبروا كتاب الله ﷻ، ولتتلوه حق تلاوته، فالله ﷻ امتدح قومًا من أهل الكتاب، قال: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، قال أهل العلم: أي: يقرؤونه بتدبر، ويعملون بمقتضاه، هذا هو التدبر لكتاب الله رب العالمين (١١).

أسأل الله ﷻ أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وذهاب أحزاننا.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.

(٩) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٦٠٣٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٢ / ٥٥).
(١٠) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٦٢٠)، وأبو الشيخ الأصبهاني في "أخلاق النبي" (٥٦٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ١٨٥).

(١١) ينظر: "تفسير" البغوي (١ / ١٦١)، و"تفسير الجلالين" (ص: ٢٥).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى، وعلى من
بأثره اقتفى إلى يوم الحشر والمنتهى.

أما بعد؛ فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن هناك جملةً من الوسائل يسلكها
المسلم تقوده إلى تدبر القرآن بإذن الله ﷻ؛ منها:

- إخلاص النية، وإصلاح الطوية، ومراقبة القلب على الدوام؛ ذلك أن من
أخلص قراءته لله رب العالمين؛ رزقه الله تدبراً يجد أثره في نفسه.

- **أمر آخر:** السعي إلى حفظ القرآن -أو حفظ أغلبه- طريق بحول الله وقوته
إلى تدبر القرآن حق التدبر.

- وكذلك -عباد الله- كثرة قراءة القرآن، وجعله وردًا يوميًا، لا يتركه الإنسان،
يقوده إلى التدبر، وهذا أمر مجرب؛ ذلك أن من جعل القرآن له عادة، ونفسه إلى
تلاوة كتاب الله منقاداً؛ مع مرور الوقت يؤثر فيه القرآن، ويجد عجباً، فيفتح الله ﷻ
مغاليق قلبه.

- **أمر آخر:** القيام بالقرآن في الليل، لا سيما الثلث الأخير، حينما تنام العيون،
وتهدأ الجفون، ويضرب السكون برواقه على المعمورة، يقوم الأخفياء الأتقياء
الأنقياء، يصفون أقدامهم لله، ويلقون رؤوسهم بين أيديهم تحيةً لله، يتلون كتاب
الله ﷻ، يتدبرونه، فإن هذا الوقت له أثر عظيم في تدبر القرآن، وهذا أيضاً أمر
مجرب.

- كذلك -عباد الله- العمل بالقرآن، حينما تقف على كل آية من آيات القرآن،
فتعمل فيها وفق المنهج الشرعي، وفق القواعد الشرعية والضوابط المرعية؛ لا

شك بأنه سبب عظيم لاستمرارك في تدبر القرآن، فلو أنك قرأت قول الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]

لو قمت بها ليلة، أو ردّدتها نهارًا، وتأملت فيها، وتفحصت في مضامينها؛ أثر فيك تأثيرًا عظيمًا، ووقفت على قنطرة التسليم لله، وسلوك صراط الله المستقيم بحول الله، ولذلك مهم جدًا -يا عباد الله- العمل بهذا القرآن، في قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، تأمل فقط في قول الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا﴾، ما معنى ﴿وَأَقِيمُوا﴾؟ إذا تأملت؛ أصبحت من أهل الصفوف الأولى بحول الله، وأصبحت من أهل الجمعة والجماعة؛ لأن من الناس لا يقيمون الصلاة حقّ الإقامة، وإنما يقيمونها بعض الإقامة، حينما يتخلفون عن الجماعات في بيوت الله رب العالمين، والله ﷻ يقول: ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا بَازٍ وَلَا بَازِغٌ وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ وَلَا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَحَفُونَ أَيَّامًا نَقَلْنَا فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [النور: ٣٧].

ولو تأملت في قول الله ﷻ: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، فقرنت ما بينهما، ونظرت إلى المعنيين المتضادين، لكل واحد منهما مسلك ومعنى؛ أحدث لك تدبرًا عجيبًا، وسعادة لا تنتهي لها، ورشّدت من أعمالك، ونزعت إلى مظلة الإخلاص لله ﷻ، مطهرًا نفسك من كل حظوظ الدنيا، ومن كل حظوظ النفس، وغيرها كثير يا عباد الله.

والخطبة لا تتسع للاسترسال في ضرب الأمثلة، وإنما شرارة أقدحها في نفوسنا جميعًا؛ لتدبر ولتأمل كتاب الله ﷻ.

- كذلك -عباد الله- الاعتناء بكتب التفسير الصحيحة السليمة، الخالية مما يكدر صفو القرآن، وصفو التفسير، هذا مهم جدًا، فالعناية بكتب التفسير من أعظم العون على تدبر القرآن.

- كذلك العناية باللغة العربية التي نزل القرآن بها، فالله ﷻ أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ولذلك هذا القرآن حينما نزل أعجز العرب أهل الفصاحة والبيان، هؤلاء الذين يتفجرون بياناً، حينما نزل القرآن أعجزهم، وجعلهم يتحIRON، حتى قال الوليد بن المغيرة: "والله لقد علمنا الشعر والشعراء، وعلمنا الرجز، وعلمنا كلام العرب، فوالله ما هو بكلام إنس ولا جن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، لكن الكبر المتربع على صدره، والغرور المتناهي -منعه أن يسلم، فقال: إن هو إلا سحر يؤثر، إن هو إلا قول البشر، قال الله ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ [المدر: ٢٦-٣٠]

وقال قبلها: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيِنَا عِنْدًا ﴿١٦﴾ [المدر: ١١-١٦]، فأدخله الله سقر (١٢).

عباد الله، مهم جداً أن نعتني بهذه اللغة التي اشتملت على جملة من المفردات العجيبة، وحينما يكون لدى المسلم حصيلة جيدة من هذه المعاني، ويقرأ القرآن؛ كأن مطارق إيمانية على رأسه تخضعه لله رب العالمين.

وحينما نزلت سورة النجم، فقرأها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وحضرها العرب، بل حضرها الإنس والجن؛ ما بقي أحد إلا وسجد في آخر السورة (١٣)، حتى ظن مسلمو الحبشة أن قريشاً أسلمت، فعادوا من هناك، ووجدوا أن الأمر على خلاف ما هنالك، أسجدتهم لله رب العالمين سجود اضطرار، لا سجود اختيار، إلا لأهل

(١٢) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٣٩١٧)، والبيهقي في الدلائل (٢ / ١٩٨)، وفي الشعب (١٣٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١٣) أخرجه البخاري (٤٨٦٢)، والترمذي (٥٧٥)، وابن حبان (٢٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الإيمان، فأصبح سجودهم سجود اختيار، كما أنه سجود اضطرار، لا سجود اختيار، إلا لأهل الإيمان، فأصبح سجودهم سجود اختيار، كما أنه سجود اضطرار.

عباد الله، الوسائل المعينة على تدبر القرآن كثيرة جداً، وأشارت إلى أهمهما، فأسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المتدبرين، وأن يسلك بي وبكم سبيل الراشدين.



الدكتور فرحان العنزي
Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi